

تستبيح امرأة غير شابة ان تكون بلباس أقل من ذلك حشمة وكالا  
 ( والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح ان يضعن  
 ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم ) ولقد  
 اطلنا الشرح نخرجنا عن الموضوع وشرحنا اخلاق المسلمين ذلك لأننا  
 نعتقد ان ما قدمناه برهان قاطع على ان تعدد الزوجات لم يتخذ ولم يكن ليتخذ  
 مشجعاً على انتشار ديانة الاسلام وبقي علينا ان ننظر ان كان النبي اتخذ لذائد  
 الجنات التي وعد بها الشهوات سلماً لاسمالة بنى آدم وحملهم على اعتناق ديانته



## المبحث الرابع

### جنات المسلمين

الحياة الآخرة - - السعادة الاخرية في مذهب المسيحيين -  
 الرمز والتفسير - السعادة الاخرية في مذهب المسلمين

ليس للحياة الآخرة من المكانة في بعض الديانات القائلة بخلود الارواح  
 ما لها في البعض الآخر فالديانة المسيحية تشير الى انها هي المقصد الاسمي  
 من الحياة الدنيا ولذلك يجب ان يمتقد المرء بان لذائد هذه الدار وزخارفها  
 خيال باطل وان يتجرد عن نفسه كي تطهر روحه فيتقدم رويداً رويداً في  
 الحياة العقلية لينال بها السعادة العظمى ومع تكرار هذه الحقائق ونشرها  
 بواسطة القائمين بامر هذا الدين لا يزال أغلب المسيحيين يراها تصورات

ذهنية كإلية بها تجتهد الكنيسة ان ترفع ما انحط . من طبائعهم ومن هنا يشاهد المتأمل فرقا عظيما بين التعاليم والاعمال كما تتناقض الاقوال والافعال كثيراً عند المسيحيين ويرى الكثير منهم في ضميره وان لم يجاهر به ان في ديانتهم قسما من التخيلات لاتسمو اليه مداركهم ولا يصبو اليه الا من اختصه الله بالمواهب الصمدانية ويحسبون انهم أدوا واجباتهم باصغائهم الى تلك الحكم البالغة واعتقادهم انها من ديانتهم وانهم يرجعون اليها عند الحاجة لبيان مقامها الرفيع ومكاتها العليا، كذا هم يعملون في قاعدة ( انما الحياة الدنيا طريق الآخرة ) على ان سعادة الاصفياء سر من الاسرار التي تخفى على المسيحيين وهو غريب لان سعادة الآخرة هي المرجع الذي كان يجب ان ترمى اليه اعمالنا كلها ولكن مع الاسف نرى العقول لاتكاد تدرك من هذا المقصد الاسمى شيئاً ومما يزيد الامر تعقيداً واشكالا مذهب بعثة الاجسام على الكيفية التي يذهبون اليها فأنهم يقولون ان الاجسام تتحول يوم الحشر من اجسام مادية الى اجسام روحية . قال القديس بولس خلق الجسد من مادة تزول وسيبث على كيفية لاتقبل الانحلال لانه خلق جسداً حيوانياً وسيبث جسداً روحياً وماذا ياترى تكون حقيقة تلك الاجساد الروحية التي لاتزال اجساماً فلها حواس وهي ارواح فتتمكن من مشاهدة ربها . افهل السعادة التي يمدنا بها القسس والرهبان هي تصور تلك السعادة أم هي سعادة حقيقية تقوم بغير التصور والتخيلات تلك مسائل ليس في الانجيل ولا التوراة نص صريح يفسرها وان اجتهد الكنائسيون في ايضاح طرف منها واهمهم في البحث هو القديس

(أوغستان) فانه كان شديد الولع بمعرفة تلك السعادة وغاية ما وصل اليه انه لم يبلغ حد اليأس في تفسير هذا السر الممكنون بمعونة الله وقدرته وجميع كتبه دالة على شدة شغفاله بتلك الحياة الادبية السعيدة التي يتصورها الاولياء، فيشاهدون ربهم بتخيلها قبل البعث وبعده وعلى كل حال فلا تزال تلك السعادة سرّاً مختوماً لا يعرفه الناس ولا يدركه الا الاولياء.

ومن هنا وقعت الديانة المسيحية بين مذهبين متناقضين فمن قائل بان السعادة الاخروية انما هي حالة نفسية مرجعها طهارة القلب والمشابهة بين المخلوق والخالق ومنهم من يقول بل هي غير ذلك أمر مادي محسوس والف (سيرانتي) كتابا كله بدع غا.ض المعنى مبهم المراد جاء فيه ان السعادة الأخروية عبارة عن اعراس تتعاقب أثر بعضها وقال المجدوب (شريد نبورج) رئيس مذهب كنيسة أورشليم الجديد في القرن الماضي ان لجميع اللذائد الدنيوية نظائر في الآخرة ويظن بذلك انه توصل الى حل الاشكال واعرب عن مصير الناس ولاكن جاء كتابه بعبارة مستهجنة سخيفة فلم ينل من قرائه التفاتاً حتى بصفته اعجوبة أو خرافاً .

وأما الاسلام فلم ينظر الى الآخرة نظر الدين المسيحي ونرى المسلمين ينتظرون ما وعدهم به النبي من النعم والسعادة وقلوبهم مطمئنة ولم يضحوا الدنيا للآخرة أما نعيم الآخرة فالمتكلمون من أهل السنة يقولون بانه حالة تقوم بالنفس فتجعلها من السعداء، وأما مشاهدة الذات العملية فان النبي ضرب لها امثالا حسنة قريبة المنال من مدارك الشرقيين ولولا ذلك لما عقلوها البعد طبائهم عن ادراك الامور المعنوية المحضة اذ الغريبيون انفسهم لم يدركوا

ذلك الامر المعنوى على ان رسولهم قد كلفهم امراً جلالاً اذ حرم عليهم ان يفكروا فى تشبيه الخالق بالمخلوق وحرّم عليهم تصوير المخلوقات الحية ولولا ذلك للزمه ان يطلب من عقولهم ما لا قبل لهم به فيكفهم بادراك اللذائذ الذهنية المحضه أو أنه يرجع بهم الى مذهب تجسم الاله وما يتبعه من الاوهام فيتصور لهم ربهم بصورة انسان جالس من حوله الاولياء والاصفياء ولكن صناعة الرمز والاشارة سهلت له الاستعلاء على هذه المشكلات ( ان الله لا يستحي ان يضرب مثلاً ما بموعضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلاً يضل به كثير او يهدى به كثير أو ما يضل به الا الفاسقين) ولورجعنا الى القرآن لتتلو الآيات التي نزلت فى بيان سعادة الاخيار فى تلك الدار لوجدناها فى اول الامر تصف جنات عاليات قطوفها دانية كأنها الحدائق الغناء والبساتين الفيحاء التي توجد فى هذه الحياة الدنيا وعلمنا بان تلك الاوصاف كانت من أكبر المؤثرات فى نفوس العرب المنزلة عليهم . وفى الواقع انه ليلذ الى البدوى الذى تعود ارضاً قحلاء وماء آسنار ربما لا يجده ايضاً طول يومه ان يتصور بان سعاده النهائية هي الراحة فى جنة خضراء ودوحة فيحاء تسقى بماء كوثرى وفيها من كل فاكهة لذة للاكلين ولن يدوق لمثل هذا الوصف معنى الا من عاش فى البادية وكابد الحياة فى الصحراء وهذا هو السبب فى ان النبي ( صلعم ) كان يأتي بمثل ذلك حيناً بعد حين وهو تكرر ربما تعبت منه عقول الغريبين لعدم تعودها عليه ولكنه كان يفعل كثيراً فى نفوس سامعيه من أمة العرب اذ هو فى الواقع

أسلوب في الخطاب له منزلة رفيعة عندهم ولا يزال يشيعواظفهم ويحرك نفوسهم على بساطتها وسهولة موردها كما شاهدت ذلك بنفسى ولقد الذ اذا تخيل النبي واقفا تحت شمس البادية حيث لا ظل يقى من حرها ويخطب في القوم موصفا ظلال الجنة الوارفة التى وعد الله بها المتقين وأشاهد الجمع هائما من حوله مأخوذاً بحلاوة الخطاب لذى يلقى بصوت يزداد وقعا في القلوب (ولمن خاف مقام ربه جنتان فباى آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان فباى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فباى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فباى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فباى آلاء ربكما تكذبان) وكان كلما قال آية زاد وجد الساء مبن بما تزيده في وصف الجنة من الطلاوة والتمكين . واقدم جرى الشرقيون على عدم التفريق بين جنة الاخيار وجنة الدنيا لذلك اعجبهم ذلك الوصف فاخذ بجماع لهم لمطابقته اذواقهم واشتغل بها عقلمهم وان لم يرد النبي بها وصف السعادة الباقية في الواقع ونفس الامر وعلى هذا النمط جاء وصف اللذائذ السماوية وهو ايضا مأخوذ مما كانت العرب تميل اليه في هذه الدار (وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون) وزوجناهم بحور عين (فيهن خيرات حسان فباى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام فباى آلاء ربكما تكذبان لم يطمهن انس قبلهم ولا جان فباى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان فباى آلاء ربكما تكذبان) (فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون أولئك المقربون

في جنات النعيم ثلثة من الاولين وقليل من الآخريين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخملدون باكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ( انا أنشأناهن أنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً لأصحاب اليمين ) ( ان للمتقين مفازاً حدائق وأعناباً وكواعب أتراباً ) تلك اشارات واستعارات ليس الامر المادى فيها الا رمزاً للعشق الروحانى وهو ضرب من ضروب الكتابة والقول معهود عند الأمم الشرقية وفي الزبور شئ كثير من ذلك وكأن الكتب المقدسة استعارت الحب الانسانى وقوة تأثيره فى النفوس لتشبه به للناس نعيم الآخرة وهو أمر طبيعى لان اجتماع النوعين الذكر والانثى يشخص فى نفوسنا نحن الغربيين صورة السعادة الابدية فالذوق الغربى لا ينفر من هذه التشابيه والاستعارات على شرط ان لا يتوسع فيها الى التصريح المطلق ولكن ذوق الشرقى لا يطب هذه القيود وينبغى له ان يكون التشبيه تاماً فلا يفقل احد لوازمه ولا ييهم طرف من متماته وهذه وسيلة يتوصل بها الى تمكين العقول المادية من تصور الادبيات المحضة وكان هذا الاسلوب مقبولاً جداً فى القرون الوسطى فقد احتوت قصة الورد لمؤلفها ( غليوم لوريس ) على أربعة آلاف بيت كلها صور واستعارات وتشابيه وقد ذهب بعض الباحثين الاتقياء الى ان تلك الوردة التى ولع المؤلف بحبها هى الذات الالهية لاذات المرأة المحبوبة . ومع كون الكتاب صريح فى الاشارة الى الماديات فقد عدوه سفرأ دينياً وليس هنا

موضع البحث في صحة هذا التفسير لقصة الوردة وانما غايتنا أن نستخلص مما تقدم عدم المانع في اعتبار مؤلفات الشرقيين قابلة لتفسير أدبي وان دل ظاهرها على ان المقصود منها أمور مادية فالعبرانيون والعرب من بعدهم استروا وبستار الالذائذ المادية والنعيم البدني وهم انما قصدوا الادبيات والسعادة الروحانية وفي عملهم هذا تعا كس في الالفاظ واشارات للمراد أو مفارقات ووافقات تلذها عقولهم ولهذا لايسمى ان أرى في نشيد بعضهم ( لعليها تقبلني بفمها ) اشارة الى واقعة مع امرأة كذلك ألفاظ العشق وعبارات الوجد والهيام المنشورة في المزامير لا تنقص من قيمة هذا الكتاب المقدس وكونه كتاباً رمزياً نعم ان تقرب بعض العباد المخلصين من الله كان أمراً بعيداً عن عقول العبرانيين الاولين والعرب الاولين والشرقيين على العموم ولكن ليس المراد هنا معرفة الوصلة والزلفى لدى الله لان ذلك يستلزم معرفة حقيقة تلك الاناشيد وهذه التشابيه وانما الغرض بيان انها رمز لاحقيقة وقد اعترف مؤرخ اللغات الشرقية وهو موسيو (رونان) بصحة قولنا وبأن عقول العرب والعبرانيين مطبوعة على استعمال التشابيه والاستعارات والاكثر من المجازيات في الالفاظ

ومتى سامنا بان المقصود من المزامير شيء آخر غير ما يعطيه ظاهر لفظها فلا يجوز حينئذ تفسيرها تفسيراً لفظياً لزمنا أن ننحو هذا النحو بعينه في فهم الآيات القرآنية التي جاءتنا بوصف الجنان نعم يصعب علينا ان نرى خلف هذه الصور المادية الصرفة مرامى أدبية الا ان هذه الصعوبة آتية من مخالفة هذا الاستعمال لما تمودناه في أقوالنا وكتبنا ومن السهل جداً أن

يرى الواحد خلفاً بينه وبين آخر من غير امته في طرق التفاهم والحديث  
فالذي يجب أن يشار إليه بلطف ورقة عندنا يبرزه الشرقي في صورة حقيقية  
فلا بدعون لعقولنا محلاً لإبصاره من خلال ألفاظهم

ولقد يتعذر علينا أن نعرف أى المعنيين ينطبع في قلب المؤمن عند  
تلاوة القرآن معناه اللفظي أو معناه الحقيقي ويحتمل أن ذوى العقول الضعيفة  
منهم لا يفقهون غير ما يدل عليه اللفظ بظاهره وأما الآخرون فيرون فيه  
معنى يميل بهم الى مرامى سامية يدوقون فيها حلاوة الزاني بين العبد وخالقه  
والكثير منهم يسمعون القرآن فلا يعتقدون بظواهر كلماته ويشعرون بأنه  
يرمى الى سعادة مخصوصة يتصورونها على كيفية غير واضحة لهم تماماً على  
أن في القرآن نفسه آيات كثيرة جاءت في السعادة الاخرى وخالية من التشبيه  
والاستعارات . فلا يقول بان المسلمين لا يعرفون سعادة ولا نعيماً مما وعدهم  
به القرآن غير ما كان مادياً شهوياً الا من غفل عن تلك الآيات ومال الى  
تغيير أصل الكتاب وقلب الحقائق التي ثبتت فيه ( وعد الله المؤمنين  
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في  
جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم )

وقد قال المفسرون في رضوان الله ان الله يتجلى على عباده المصطفين  
فتكمل سعادتهم ويتم بذلك نعيمهم وجاء ( دعواهم فيها سبحانك اللهم  
وتحيتهم فيها سلام و آخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ) ( والذين صبروا  
ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرأون  
بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار ) ( زين للناس حب الشهوات من النساء



والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام  
والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب )

على ان الكتاب نفسه لم يترك مجالاً لمعارض فنهى عن تفسير آياته  
تفسيراً لفظياً أو تجسيم التشبيه بما لا يحتمله المقام فقال في سورة آل عمران  
( هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر  
متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء  
تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آما به كل من عند  
ربنا وما يذكر الا أولو الالباب ) ( وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم  
بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من  
عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون )

وقد اتفق المتكلمون من المسلمين الذين اشتغلوا بتفسير القرآن  
خصوصاً أهل السنة الذين يرجعون فى تفسيرهم الى الاحاديث النبوية والافوال  
المأثورة عن السلف ويلاحظون أسباب النزول على ان السعادة الاخرية  
انما هى أمر ذهنى يقوم بالنفس فتصير منعمة مطمئنة وهذا النعيم هو أكبر  
النعيم فلا نعيم بمده قال الشيخ العالم ( رب ان الجنة لا ترجى الا لرؤياك فيها  
ولولا نور ذاتك البهية لعفناها ) وانى اختم هذا الفصل بدعاء مأثور عن  
الشيخ القشيري واعلمه لا يذرى ببعض كتب الدعاء المسيحية ( إلهى انك  
تهددنى بفراق يحرمنى على الدوام من تجلياتك البهية فيارب اصنع بى ما  
تشاء ولا تحرمنى من مشاهدتك العلية فليس بى أمر مذقاً وأشد قتلاً من  
ألم هذا الافتراق وما حيلة النفس بغير ربها الا أن تعيش فى فزع وتبقى فى

حيرة واضطراب رب ان النفس لترضى بان تذوق الموت مائة ألف مرة  
ولا تذوق حرقة فرقتك مرة واحدة رب ان مصائب الدهر وجميع الامراض  
القتالة لو اجتمعت على لا احتملتها غير متوجع من وقعها ولكن لا طاقة لى  
على احتمال بمدك عنى رب لو احتجبت عنا برهة اقبلت أرضنا وفاضت  
أنهارنا فاذا يكون حالنا لو دام هذا الاحتجاب لولاه لما احترقت نار الجحيم  
واشد لهيبها رب ان فى تجليك حياتنا وكمال سعدنا ونعيمنا وفى احتجابك  
عذابنا وجحيمنا )

## الفصل الخامس

### ﴿ القضاء والقدر ﴾

متشابهات القرآن ومذهب الناسخ والمنسوخ — الاختيار والقضاء  
والقدر فى القرآن والحديث — مذهب ( توماس )  
ومذهب ( مولينا ) — الجبرية والقدرية

يثبت الناس كل مبحث بالقرآن اذ من السهل جداً ان يجد فيه  
الباحثون سنداً لدعاويهم المتناقضة والقرآن فى هذا لا يختلف عن غيره من  
الكتب المقدسة التى تستوقف المطالع بظواهر متشابهاتها والقرآن على  
مذهب اهل السنة قديم مرقوم من الازل فى اللوح المحفوظ ونزل به الملك  
جبريل ( عليه السلام ) فى الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان وهى ليلة